

عنوان الورقة :

تأهيل المستفيدين بين النظرية والتطبيق

مقدمها :

الدكتور / يحيى بن إبراهيم اليحيى

ملخص بحث

تحديد الاحتياجات التأهيلية وتقييمها

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد - :

إن التكافل الاجتماعي الحقيقي يكمن في تعدد الأعمال وتكاثر المناشط التي لا تدع عاطلاً في المجتمع حتى يغدو كل فرد مكتسباً ومنتجاً ، فإعطاء الفأس ليحتطب ليس كإعطاء سلة تمر ليأكل ، وستركز ورقة العمل على المحاور الآتية :

١. التأصيل الشرعي للموضوع .
٢. نماذج من تأهيل السلف للمستفيدين .
٣. الغرب والتأهيل .
٤. ضرورة الإبداع في قطاعات التأهيل عن طريق (فتح أقسام وإدارات واستكتاب الباحثين وطرح مسابقات)
٥. البرامج متعددة لعدد مجالات الحياة .
٦. نماذج من التأهيل المقترح .

التأهيل بين النظرية والتطبيق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد :

فإن تأهيل النفس والروح هو أساس كل تأهيل ، فإذا كانت النفس زاكية حيية نفعها أدنى تأهيل وتوجيه باستثمار طاقتها وتشغيل قدراتها ، ورضيت بالقليل من الكسب مقابل أن تبقى لها عزتها وكرامتها .

وقد وعى العاملون في العمل الخيري هذا الجانب وأولوه عناية فائقة ، وأصبح تأهيل المستفيد هو التوجه العام لدى الجهات الخيرية فإعطاء الفأس ليحتطب ليس كإعطاء سلة تمر ليأكلها (وتعليمه صيد سمكة أفضل بكثير من إعطائه مجموعة من السمكات).

أصل التأهيل وغايته :

وبعد البحث الميداني سير أحوال المستفيدين وجد أن أصل التأهيل والغاية منه تكمن في حفظ ماء الوجه أولاً. إذ أن من أراق دم وجهه وامتهن المسألة سواء عن طريق الأفراد أو الجهات الخيرية يستمرئ هذا العمل ويعتبره مهنة له . فيصعب عليه تركها والتحول إلى العمل والاحتراف ، وليت الأمر يقتصر على رب الأسرة فقط بل إن هذه المهنة انعكست بالذلة والمهانة على سائر أفراد الأسرة من بنين وبنات .

ونحن حين نهمل شريحة المحتاجين ونغفل حتى نلجئهم إلى المسألة ومراجعة الجهات الخيرية بطلب المساعدة ، نكون قد ساهمنا في تسهيل مهنة التسول وتعمدنا إراقة ماء وجه المحتاج ، فإن الملاحظ أن كل محتاج يقدم إلى جهة خيرية لأول مرة بطلب المساعدة تجده غالباً متكرراً متلثماً مستحيباً ، ومرة بعد أخرى تزول عنه تلك الصفات ويصبح ممتهنماً للتسول ولا يهमे من يراه في الجهات الخيرية .

ولقد جاءت نصوص الشريعة بالترغيب في إخفاء الصدقة والستر على الفقير قال الله تعالى " إن تبدو الصدقات فنعمما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير (1) " أشار بعض المفسرين إلى أن الآية أولت أهمية في إخفاء الصدقة على الفقراء ، وأنه مقدم على إعلانها . (2)

ورتب على إخفاء الصدقة فضل عظيم ودرجة رفيعة ، حيث نال صاحبها صحبة السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، فقال صلى الله عليه وسلم " :سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عاجل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتماعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال كأني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه . (3) "

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "والله ليأتين الراعي في اليمن حقه منه ذا المال ودمه في وجهه ."

وكان عمل السلف الوجه التطبيقي والعملية لهذه النصوص ، فعلى بن الحسين رحمه الله ، لم يعلم أهل المدينة بأنه هو المتصدق على بيوتات الفقراء حتى مات إذ كان يأتيهم ليلاً خفية

فيضع الطعام على عتبات أبوابهم .

وعامر بن الزبير رحمه الله ن كان يضع الدنانير في أحذية الفقراء وهم يصلون فلما سئل لما لا تعطيتهم بنفسك أو ترسل بها خادمك ؟ فقال : أخشى أن يلقاني أحد منهم فيتمتع وجهه . " وقد وضع لبعض تجار الأندلس لما غلت الأسعار جاءه الناس يسألونه فقال " خذوا بالدين " فلما أخذوا اسقط عنهم الديون فيما بعد . فلما سئل قال : أخشى أن يأنف بعض المحتاجين من الصدقة . فهو لا يريد أن يحرج صاحب المروءة ولا يأخذ غير المحتاج لأنه يبيع ، ولا يأخذ أكثر من حاجته فهو دين عليه .

وقال سعيد بن العاص لأبنة عمرو " يا بني أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداء عن غير مسألة . فإما إذا أتاك تكاد ترى دمه في وجهه مخاطراً لا يدري أتعطيه أم تمنعه فوالله لو خرجت له من جميع ما تملكه ما كفاته ط (4)

تطبيقات معاصرة :

- أي إراقة لما الوجه أشد من ممارسة بعض الجهات الخيرية للتصوير أثناء تسليم المعونات والمساعدات للمستفيدين ، وحفظ تلك الصور في أرشيفها ، فبقاء تلك الوثائق في الأرشيف عار عليه وعلى أريته من بعده ، فيما أراه .
- الملاحظ أن الجهات الخيرية تعرف المستفيد بأنه " من تقدم للجهة الخيرية يطلب المساعدة " وهذا هو التسول المنظم كما يقال.

والحقيقة أن تقدم المحتاجين للجهة الخيرية يسبب لها مشاكل عديدة إدارية ومالية ، لأن ذلك يتطلب جهاز استقبال مع خبرة في معرفة الناس والتفريق بين الصادق والمحتال ، ثم إن هذه الطلبات تخضع لحسن العرض والقدرة على التمثيل والبكاء والخداع ، وقد تسبب تكاثر وتجمهر الفقراء وغيرهم على أبواب الجهات الخيرية ، في زرع الخلاف وأحياناً الشجار في الجهاز الإداري للجمعية ، إذ أن من العاملين من تسيطر عليه عاطفته وتغطي على تفكيره وعقله فإذا رأى رجلاً أن امرأة عند بوابة الجمعية تبكي وتتأوه تأثر بذلك فعند أول اجتماع يرى أن يبدأ في حل هذه المشكلة ، على حين أن زملاءه يرون أن هذا من صور المخادع...والذي اقترحه على الجهات الخيرية ، أن تتعامل بهذا الشعار " الفقير نعرفه ولا يعرفنا نأته ولا يأتينا " وفي هذا حفظ لماء وجه المستفيد ، وقطع للمشاكل والاتهامات عن

الجهة الخيرية ، وتوفير للطاقت الإدارية والثروة المالية . ولا شك أن هذا يتطلب كماً كبيراً من الباحثين المتطوعين ، وهذا مقدور عليه في هذا البلد المبارك بإذن الله ، وبخاصة إذا قضت الجمعية على الجوانب الإجرائية في صرف المعونات للباحثين الذين سيقومون بدورهم بتوزيعها على الأسر التي يقومون على رعايتها ومتابعتها ، مع تفويضهم ببعض الصلاحيات التي تليق بهم . والله الموفق .

وسائل التأهيل :

لم يعرف المجتمع المسلم البطالة في عموم فترات تاريخه ، حيث هيا النفوس ورغبتها في العمل والاحتراف وفتح للمسلم جميع أبواب العمل وألغى جميع القيود والشرط عليه مادام العمل حلالاً في نوعه أو طريقة كسبه ، وإن العالم اليوم بحاجة ماسة إلى قراءة التاريخ الإسلامي في جانبه العملي والحضاري ليستخلص تلك الأسباب والوسائل التي غدا معها كل فرد في المجتمع الإسلامي عاملاً ومنتجاً لا يعرف الاعتماد على الآخرين ، ولا يخطر بباله أن يترك العمل ليمد يده إلى غيره حتى وجد في بعض فتراته استغناء تام عن الزكاة . ومن الاستقراء السريع للمنهج الإسلامي تبين لي أن هناك وسائل مباشرة ووسائل غير مباشرة . الوسائل المعنوية أو غير المباشرة :

قرر الإسلام وسائل كثيرة كانت بمثابة تهيئة المجتمع كله للعمل حتى لا يبقى عاطل إلا من كان عاجزاً قد أعاقه المرض أو الشيخوخة ومن تلك الوسائل :

أولاً : شدد الإسلام وسلم : المسألة وقبحها وأغلظ على من امتننها ، ولم يأذن بها إلا في ثلاث حالات مؤقتة : عن قبيصة بن مخارق الهلالي قال تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها فقال " أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها قال ث قال يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسه ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش أو قال سداداً من عيش ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحاجة من قومه لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش أو قال سداداً من ع . وقال صلى الله عليه وسلم : " لا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر . (6) "

وعن يحيى بن أبي كثير: أن رجلاً أتى ابن عمر فسأله ، فقال " :إن كنت تسأل في دم مفضع ، أو غرم موجع ، أو فقر مدقع فقد وجب حقك ، وإلا فلا يحق لك . " قال :ثم أتى الحسن بنعلي ، فقال له مثل ذلك . (7)

وعن عروة ، عن أبيه ، عن عبيد الله بن عدى بن الخيار ، أنه حدثه رجلان فحدث عنهما قالا " :جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع والناس يسألونه الصدقة ، فزاحمنا عليه الناس ، حتى خلصنا إليه ، فسألناه من الصدقة فرفع البصر فينا خفضه ، فرآنا جلدين ، فقال :إن شئنا فعلت ولاحظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب . (8) " وعن عبد الله بن مسعود قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " :ما من أحد يسأل مسألة وهو عنها غني ، إلا جاءت يوم القيامة كدوحاً أو خدوشاً أو خموشاً في وجهه . قال:يا رسول الله ومغناه أو ما يغنيه ؟ قال: خمسون درهماً أو حسابها من الذهب (9) " وقد ذكر بعض الفقهاء أن من حق ولي الأمر أن يؤدب كل صحيح قادر على التكسب يريد أن يعيش عالة على الآخرين وهو يجد عملاً . (10)

ثانياً: حث الإسلام على الاحتراف والعمل ورغب فيه وصغر من شأن من يتهاون به ويتركه استغناء عنه أو احتقاره له أو زهداً فيه:

عن الزبير بن العوام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " :لأن أخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعهها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعه . (11) "

كان محمد بن سيرين إذا أتاه رجل من العرب قال له: "مالك لا تتجر؟ كان أبو بكر تاجر قريش . (12) "

قال عمر بن الخطاب " :يا معشر الفقراء ارفعوا رؤوسك فقد وضع الطريق فاستبقوا الخيرات ، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين . (14) "

وقال سعيد بن المسيب " :كان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في بحر الروم ، منهم طالحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . (15) "

وعن الهيثم بن جميل قال :قلت لابن المبارك (أتجر في البحر؟ قال :أتجر في البر والبحر

واستغن عن الناس. (16))

وعن بن عمر قال ((إذا لم يرزق أحدكم في البلد ، فليتجر في بلد غيره. (17)))
 لقي رجل الحسن بن يحيى بأرض الحبشة ، معه تجارة ، فقال له : ما الذي بلغ بك ها هنا ؟
 فأخبره ، فعذله الرجل . فقال : أكل هذا طلب للدنيا ، وحرص عليها ؟ فقال له الحسن : يا
 هذا إن الذي حملني على هذا ، كراهة الحاجة إلى مثلك. (18)))
 قال عمر بن الخطاب إنى لأرى الرجل فيعجبني ، فأقول : له حرفة ؟ فإن قالوا : لا ، سقط من
 عيني .))

لقد أثر هذا الترغيب على جميع الأمة حتى انخرط رموزها وعظمائها في الاحتراف والعمل
 لكسب الرزق ونسب جمع من عظماء الأمة وعلمائها إلى المهن فكان منهم : القفال ،
 الخراز ، الجصاص ، الخواص ، الخباز ، الصبان ، القطان ، البزاز ، النجار ، الحذاء ،
 السمان ، الصواف ، الخراز ، الزيات ، الفراء . .
 إن انتساب هؤلاء العلماء الأجلاء للحرف أعطى صبغة العزة للحرف جميعاً حتى لم يكذب
 يوجد في المجتمع الإسلامي من ينتقص الحرف أو يصغر من شأن أصحابها ، ولعل هذا من
 الأسباب المباشرة التي أدت إلى انخراط عامة الأمة في العمل والكسب.

ثالثاً : ردم قنوات الفقر:

ليست مشكلة الفقراء في عدم الكسب أو ضعف الموارد وقلة الدخل فقط بل تجد كثيراً
 من ذوى المسكنة والفقر امتلك يوماً من الأيام أموالاً كثيرة ، أو له كسب لو كان عند
 غيره لكفاءة ، ولكن يعاني من سوء التدبير وضعف التوزيع أو الإسراف ، ومن هنا جاء
 الإسلام حاثاً على حسن التدبير والرفق في المعيشة ومشجعاً على الإسراف والتبذير والإغراق
 في الكماليات ، ورأسماً برامج عملية في الاقتصاد وتوجيه المال وتنظيمه فهذا أحد كرماء
 الإسلام وعظماؤهم وشجعانهم وهو قيس بن سعد بن عبادة التاجر المشهور يضرب أروع
 الأمثلة في تدبير المال "أتى قوم قيس بن سعد بن عبادة فسألوه حالة ، فرأوه في حائط له
 يلتق...عن عبد الله المزني قال رسول الله ﷺ : " إذا اشتري أحدكم لحماً ، فليكثر مرقتة ،
 فإن لم يصب لحماً أصاب مرقاً . (20) "

وعن سالم بن أبي الجعد أن رجلاً صعد إلى أبي الدرداء ، وهو يلتقط حطة فقال " :إن من فقهم رفقك بمعيشتك . (21) "

وقال عمر: " أيها الناس ، أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله عز وجل ، فإن إقلالاً في رفق ، خير من إكثار في خرق . (22) "

وفي المسند عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : " ما عال مقتصد (23) "

وعن عائشة: " لا جديد لمن لا خلق له . (24) "

وقال عمر بن الخطاب " :كفي بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهى (25) " ز

وينبغي أن يوضع منهج للموازنة بين الدخل والصرف ويربي عليها الناس وخاصة الشباب .

وعن عبيد الله بن حيد قال " :مر جدي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه بردة فقال :بكم اتعت بردك هذا ؟ قال :بستين درهماً . قال :كم مالك ؟ قال :ألف درهم . قال :فقام إليه بالدرة ، فجعل يضربه يقول :رأس مالك ألف درهم ، وتبتاع ثوباً بستين درهماً ؟ رأس مالك ألف درهم ، وتبتاع ثوباً بستين درهماً . "

الأساليب المباشرة في التأهيل :

لقد قرر الإسلام أساليب كثيرة لتشغيل جميع المجتمع والقضاء على الفقر والعوز حتى وصلت الأمة في طول البلاد وعرضها من أوروبا غرباً إلى حدود الصين شرقاً إلى أن يحمل أحدهم هم صدقته كيف يجد من يأخذها منه ، كما وقع هذا في عهد عمر بن عبد العزيز وتواترات النصوص بذكره والإشادة به .واليك بعض هذه الأساليب :

أولاً :تعريف المرء بطاقاته وفتح آفاقه على أبواب الكسب ، فقد تتعلق في عين الإنسان أبواب الرزق ويظن أن لا جدوى في العمل والاحتراف فيلجأ إلى المسألة ، ولقد أعطى رسول الله ﷺ درساً عظيماً في هذا الشأن .

عن أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله فقال " :أما في بيتك شيء قال بلى جلس (26) نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب (27) نشرب فيه من الماء ائتني بهما قال فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال من يشتري هذين قال رجل أنا أخذهما بدرهم قال من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا قال رجل أنا أخذهما طعاماً بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري ، وقال اشتر بأحدهما طعاماً فأنبذه إلى أهلك واشتر

بالآخر قدوماً فأتى به فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال له اذهب فاحتطب وبع ولا أرنيك خمسة عشر يوماً فذهب الرجل يح..ففي هذا الحديث دلائل كثير منها :
أنه ﷺ لم يعالج مشكلة السائل المحتاج بالمعونة المادية الوقتية ولم يعالجها بالوعظ والتنفير من المسألة ولكنه أخذ بيده في حل مشكلته بنفسه وعالجها بطريقة شريفة ناجحة . وهذا ما يسمى تهيئة بيئة العمل

ثانياً : أعطى الفقير امتيازات في المصالح العامة دون الغني وفتح له أبواب العمل أكثر من غيره ويكفي أن نذكر هذه القصة من إدارة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

عن زيد بن أسلم عن أبيه " أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمى فقال يا هني أضمم جناحك عن المسلمين واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة ورب الغنيمة وإياي ونعم ابن عوف ونعم ابن عفاف فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل وزرع وإن رب الصريمة ورب الغنيمة إن تهلك ماشيتهما يأتي ببنية فيقول يا أمر المؤمنين أفتاركه أنا لا أبا لك فالماء والكلأ أيسر علي من الذهب والورق وأيم الله أنهم ليرون أني قد ظلمتهم إنها لبلادهم فقاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما ..إن السياسة الراشدة هي التي تعمل على توفير العمل وتيسيره للقادرين من الفقراء ، وتعمل على تنمية مصادر الدخل لصغار الملاك ، ليستغنى هؤلاء وأولئك بجهدهم الخاص عن طلب المعونة من الدولة ، وتكليفها عبء الإنفاق عليهم من خزانتها. وهذا يظهر من قول عمر: " فالكلأ أيسر علي من الذهب والورق ."

ثالثاً : تعليم كل صبي مهنة تناسبه ، فقد ذكر الفقهاء وهو ما ذهب إليه الشافعية ، قال القليوبي في حاشيته ما مفاده " يجب أن يسلم الولي الصغير لذي حرفة يتعلم منه الحرفة "

رابعاً : الزكاة تشغل جميع الطاقات والقدرات وتهيئ لهم أسباب الاحتراف .
إن الزكاة لم تكن يوماً من الأيام عائقه عن العمل أو حائثة على البطالة والكسل ، أو مهينة لأجواء الخمول والاعتماد على الآخرين ، ولتكن الزكاة تصرف كمسكنات لذوي

الحاجة والفقر ليبقوا متعلقين ومتطلعين لأيدي أهل الغني واليسار طوال أعمارهم. إن الزكاة جاءت لتنظيم الثروة وإغناء الناس عن المسألة وفتح أبواب الرزق أمام الجميع والمنافسة الشريفة على الكسب. لقد جاء تنظيم الزكاة بأن تؤخذ من أغنياء كل بلدة فتصرف على فقرائها ولا تنقل إلى غيرهم حتى تسد حاجتهم وجاء نظامها بصرف زكاة الأموال الظاهرة إلى بيت المال ليقوم بتوزيعها على المستحقين لها ، ضماناً لعدالة التوزيع وحفظاً لماء وجه الفقير ، وقطعاً للطريق على المحتالين .

وجاء تنظيم الزكاة لتكون مشغلة لجميع أفراد المجتمع فتعدهم لسوق العمل وتحفزهم عليه وتهيئ لهم بيئته بما يدفع لهم من مساعدات تخص حرفهم .بالغة ما بلغت كما رجح ذلك جمع من الفقهاء .

ذكر النووي رحمه الله معنى الكفاية قال " :فرع :قال أصحابنا :والمعتبر في قولنا يقع موقعاً من كفايته المطعم والملبس والمسكن وسائر ما لا بد منه على ما يليق بحاله ، بغير إسراف ولا إفتار لنفس الشخص ولمن هو في نفقته . (30) "

وفصل في موضع آخر في فرع بعد أن ذكر أن أصحابهم العراقيين وكثيراً من الخراسانيين قالوا :يعطيان -أي الفقير والمسكين -ما يخرجهما إلي الغني وهو ما تحصل به الكفاية على الدوام قال وهذا نص الشافعي واحتج له بحديث قبيصة بن المخارق الذي رواه مسلم . والشاهد منه أن الرسول ﷺ أجاز له المسألة حتى يسد ما يسد حاجته فدل على ما ذكرناه ثم ذكر تفصيلات لأصحاب :قال أصحابنا فإن كان عادته الاحتراف أعطى ما يشتري به حرفته ، أو آلات حرفته قلت قيمة ذلك أم كثرت ويكون قدرة بحيث يحصل من ربحه ما يفي وبكفايته غالباً .

ويختلف باختلاف الحرف والبلاد والأزمان والأشخاص وقرب جماعة من أصحابنا ذلك فقالوا :من يبيع البقل يعطي خمس دراهم أو عشرة ومن حرفته بيع الجوهر يعطي عشرة آلاف درهم مثلاً إذ لم يأتي له الكفاية بأقل منها ومن كان تاجراً أو خبازاً أو عطاراً أو صرافاً أعطى بنسبة ذلك ومن كان خياطاً أو نجاراً أو قصاراً أو قصاباً أو غيرهم من أهل الصنائع أعطى ما يشتري به الآلات التي تصلح لمثله وإن كان من الضياع يعطي ما يشتري به ضيعه أو حصة من ضيعه تكفيه غلته على الدوام .

قال أصحابنا فإن لم يكن محترفاً ولا يحسن صنعه أصلاً ولا تجارة ولا شئ من أنواع المكاسب أعطى كفاية العمر الغالب في بلاده ولا يتقدر بكفاية سنة . قال المتولي وغيره يعطي ما يشتري به عقاراً يستغل منه كفايته قال الرفاعي : ومنهم من يشعر كلامه بأن يعطى ما ينفق عينه في مدة حياته والصحيح بل الصواب هو الأول ، هذا الذي ذكرناه من إعطاءه كفاية عمره هو المذهب الصحيح الذي قطع به العراقيون وكثيرون من الخراسانيين ، ونص عليه الشافعي وذكر البغوي والغزالي وغيرهما من الخراسانيين أنه يعطي كفاية سنة ، ولا يزهّد لأن الزكاة تتكرر كل سنة ، فيحصل كفايته منها سنة سنة وبهذا قطع أبو العباس ابن القاص في المفتاح .
والصحيح الأول وهو كفايته العمر . قال الشيخ نصر المقدسي: هو قول عامة له زوجة واحتاج للنكاح . (32) "

وقال شيخ الإسلام حينما سئل عما ذكره في حد المسكين من أنه من قدر على مال أو كسب يقع موقعاً من كفايته ولا يكفيه هل المراد عدم الكفاية في ذلك اليوم أو كل السنة أو العمر الغالب فإن قلت بالأخير كما صححه النووي رحمه الله تعالى فما حده وما حد الغنى الذي لا يجوز معه أخذ الزكاة فإذا كان رجل عمره عشرون سنة وما حد الغنى الذي لا يجوز معه أخذ الزكاة فإذا كان رجل عمره عشرون سنة مثلاً ولم يكن كاسياً وعندة عشرة آلاف مثلاً ومؤنته كل سنة ألف مثلاً فهل يجوز له أخذ الزكاة أو لا فإن قلت يجوز فما الحد الذي يجوز أخذه وكم يعطي الدافع له والحالة هذه ؟
(فأجاب) بقوله من تحقق بالفقر أو المسكنة لا يخلو إما أن يكون يحسن حرفة أو تجارة أو لا يحسن شيئاً من ذلك ومن لا يحسن شيئاً إما أن يكون معه شيء أو لا فإما من له حرفة فإنه يعطى ثمن آلات حرفته التي يقوم دخلها بخرجه على الدوام فإن لم يف دخلها يخرجها كما لنا له الزائد بأن نضم إلى ثمن تلك الآلات شراء محل نعطيه له يقوم دخله الحرفة بكفايته وكفاية ممونة بحسب الأثق به وبهم على الدوام أيضاً .
وأما من يحسن التجارة فإنه يطعى رأس مال يكفيه ربحه بأن يكون ذلك الربح الحاصل منه بحسب العادة بقدر ما يحتاجه هو وممونه كما ذكر ولا يتقيد ذلك بحد وذكرهم إعطاء البقال والجوهري والصيرفي وغيرهم أشياء مخصوصة ذكروها وحدودها إنما هو لأن

ذلك كان مناسباً لعرف زمنهم كما أشاروا إلى ذلك بقولهم عقب تلك المقادير تقريباً .
وأما من معه مال وهو لا يكفيه العمر الغالب بأن يكون لو وزعه على ما بقى من عمره
باعتبار الغالب الذي يعيش إليه أكثر الناس وهو ما بين الستين والسبعين لا يكفيه بل
ينقص عن ذلك أول يسمعه شيء ولا يحسن كل منهما حرفة ولا تجارة فإنه يطعى كفاية
العمر الغالب بأن يشتري له أرض أو عقار يكفيه كما مر غلتها على الدوام .
ففي المثال المذكور في السؤال يضم إلى العشرة الآلاف التي معه قدر بحيث لو اشترى بهما
محل كفافه دخله على الدوام ومحله كما علم مما تقرر ما إذا كانت تلك العشرة الآلاف
يفي ربحها بخرجه إن كان يحسن تجارة أو لا يشتري بها ما يكفيه غلته إن لم يحسن شيئاً
ففي هاتين الصورتين يضم إليها ما يشتري به ما تكفيه غلته أما إذا كانت تلك العشرة
الآلاف يمكن أن يشتري بها ما تكفيه غلته أو يمكنه أن يتجر فيها بما يفي ربحه بخرجه
فلا يعطى شيئاً من الزكاة لأنه الآن غني .
وأما ما عدا هذه الصورة فمن له حرفة أو تجارة ولا يكفيه دخلها فإنه يكمل له بأن يشتري
له ما يضم ربحه إلى ربح حرفته أو تجارته بحيث يكفيه .
هذا حاصل المعتمد الذي يتعين الاعتناء بفهمه وتحريه في هذه المسألة فإنه قد كثر فيها
اختلاف أنظار الأئمة فيها وتغليظ بعضهم لبعض في بعض تفاصيلها .
ويندفع بما تقرر ما أشار إليه بعض الأئمة من أن إعطاء العمر الغالب يلزم عليه حرمان أكثر
المستحقين إذ الغالب أنه لا يوجد من الزكاة ما يكفي مستحقيها العمر الغالب ووجه
اندفاع هذا ما علمت أن أحداً من الفقهاء والمسالكين لا يعطى حيث اتسع المال نقداً وإنما
يشترى له به ما يفي دخله يخرجه فإن قل المال أعطى كل ما تيسر له . (33) "

عوائق التأهيل المعاصرة :

إن من أسباب انتشار البطالة والتقاعد عن العمل والاحتراف عادات اجتماعية متوارثة،
وتقاليد غريبة وافدة تسببت بممارسة الضغط على مفاهيمنا وعقيدتنا وأمتنا من حيث
يعلمون أو لا يشعرون شكلت عوائق كبيرة في طريق التأهيل ومنها:
- احتقار المهن وازدراء أصحابها ، والإعلاء من شأن الوظيفة المكتتبية عند الدوائر الرسمية ،

- وهذه النظرة الدونية تمارس على جميع المستويات والطبقات، وتغرس في النفوس منذ الصغر، وإن ادعى المثقفون والغيورون تعظيم أصحاب المهن وتكريمهم فهذا لا يتعدى المجالس الرسمية فقط.
- التشجيع على الإسراف والإغراق في الكماليات وممارسة الضغوط النفسية والمعنوية من خلال الإعلام والدعايات التجارية المتكاثرة والممارسات في البيوت والقصور والولائم مع كثرة الترفيه واللهو والدعايات المرغبة فيه، حيث يجد الفقير إخراجاً كبيراً من أولاده لأجل تحصيل هذه الكماليات.
- إغلاق كثير من المصالح العامة أبواب الرزق على محدودي الدخل، بوضع الشروط والضوابط التي لا تنطبق إلا على الأغنياء أو كبار التجار.
- تكريس التسول المنظم وتأييده، وفت الأبواب للمحتالين على الزكاة من خلال بعض الجمعيات التي لا تنظر في حالة فقير، ما لم يتقدم إليها بطلب المساعدة والعون.
- الاكتفاء بالصورة التقليدية المتوارثة في توزيع الزكاة على هيئة أقراص مسكنة إلى حين انتهائها ليعود الفقير يمد يده مرة أخرى يستجدي أهل اليسار أو من يقوم بجمعها من المحسنين، وعد الاهتمام في الاستفادة من الزكاة في تأهيل القادرين على العمل وتمكينهم من الاعتراف.
- التشبع من التعليم النظري في مدارسنا والبعد عن ممارسة التطبيقات العملية إما لعدم القناعة بها، أو لقلّة المتخصصين، أو العجز المالي عن توفير الورش وأدوات المهن. أو مسايرة الرأي الغربي بعدم تعليم الأطفال المهن.

الإبداع بالتأهيل:

- إن الجمعيات والجهات الخيرية الراغبة في تنمية مواردها هي التي تولى التأهيل عناية فائقة وذلك بتخصيص إدارات وأقسام متخصصة للتأهيل مع طرح المسابقات والبحوث العلمية على أفضل برنامج إبداعي في تأهيل المستفيدين.
- وإن برامج التأهيل متعددة ولا يمكن حصرها واستقصاؤها. والبرامج تتماشى مع الأحوال والبيئة، إلا أن المطلع على برامج التأهيل القليلة عند الجمعيات يجد أن كل جمعية صورة

طبق الأصل للجمعيات الأخرى فلما انحصر تفكيرنا على تفكير الآخرين ، صحيح أنه ينبغي أن نبدأ من حيث انتهى الآخرون وأن نستفيد من البرامج الناجحة ولكن ينبغي أن نبني على ما بنوا ولا نكتفي بما عملوه، ولعلي لا أكون مقلداً بما أسوقه من تجارب في التأهيل فقد عزفت عن ذكر البرامج التقليدية المتكاثرة في الجهات الخيرية .

أمثلة لتجارب فردية :

- كراتين الموز :شباب من الرياض وجد نفسه بدون عمل على الرغم من مؤهله الجامعي ففكر في عمل يدر عليه مبلغاً يكفيه وأهله فرأى في موسم التمر الإقبال الشديد على كرتون الموز فقرر العمل على جمع كرتون الموز بعد الموسم وبيعه في الموسم القابل فجمع خلال عام مليون كرتون وبيع مليون ريالاً .
- تصليح الجوالات :أحد الطلاب الألبان تخرج في إحدى الجامعات الإسلامية وذهب للدعوة في بلده مكفولاً من إحدى الجهات الخيرية بمبلغ مائة دولار .وفعلاً نجح في دعوته ولكنه وجد حاجة في تلاميذه وهو الكريم وليس في وسعه سد حاجاتهم فعكف على تعلم مهنة وهي صيانة الجوال وأعطى الخبرة تلاميذه فأصبح دخله وحده ألف دولار شهرياً بدون تفرغ للعمل ، ولما زار المدينة منح خبرته لعدد من شبان المدينة .
- ورشة التبريد المنتقلة :شباب من فنزويلا في الجامعة الإسلامية أراد أن لا يرتبط بعمل وظيفي حتى لا يأخذ عليه وقته الممنوح للتعليم والدعوة فقرر مع تلاميذه فتح ورشة فوجد أسهل عمل مهني هو ورشة التبريد والتي لا تتعدى أربع قطع وفعلاً تم فتح الورشة المنتقلة عبر الجوال وكسب منها مبالغ كافية لهم ولأسرهم ولبرامجهم العلمية والدعوية .
- صيانة مصاعد :وفي المدينة المنورة حيث تكثر المصاعد فيها لارتفاع مبانيها وجد أحد الشباب أن شركات الصيانة تأخذ مبالغ كبيرة في عقودها مع أصحاب العمار مع العلم أن عملهم في الغالب لا يتجاوز تنظيف المصعد ومتابعته بالزيوت مرة كل شهر ويغالون عليهم في قطع الغيار ، فقرر مع زميل له تعلم المهنة فوجدها من أيسر المهن وأفضلها في تنظيم الوقت حيث لا ترتبط بساعات معينة ووجد قطع الغيار متوفرة ورخيصة ، فأعلنوا عن عملهم فأقبل الناس عليهم لمنافستهم الشركات وبصورة مغرية .

- كفالة أسرة ببقرة :كان أحد الأختيار مهتما بكفالة الأسر الفقيرة فاستطاع أن يكفل أسرتين في إحدى البلدان ، ولكنه تعب في تحصيل مبالغ الكفالة الشهرية لهم فجمع مبلغاً واشترى لكل أسرة بقرة ، ودلهم على صناعة الجبن ، وبيع اللبن والسمن ورغبهم بأنه إذا ولدت البقرة وكبر ولدها فسيملكون الأم ، ويأخذ بنتها لأسرة أخرى وهكذا استطاع بهذا الأسلوب أن يكفل عدداً من الأسر في تلك البقاع الخضراء التي لا تحتاج إلى شراء الأعلاف .

خطوات تأهيل المستفيد:

١. عقد دورات تأهيلية وتدريبية وفنية مجانية ، وتعريف المستفيد بطاقاته وقدراته وأنها ثروة لا تعوض .تحت عنوان (اكشف نفسك).
٢. بيان أن قيمة الإنسان بما يحمله من علم وأخلاق لا يما يحويه من أثاث وممتلكات.
٣. فتح آفاق بالغنى الحقيقي (الغنى غنى القلب).
٤. تعليمه فضل الرزق الحلال وبركته .
٥. غرس شرف المهنة ومذلة المسألة في نفسه .
٦. زرع القناعة بالبدائل عن العمل الحكومي .
٧. تربيته على القناعة والصبر والأمانة.

لعل هذه المقدمات ضرورية يقنع بها المنخرط في سلك التأهيل قبل أن يمارس التدريب على المهنة لأن بناء القناعات أولاً ، ثم يتلوها البرامج والأنشطة ، فما لم نبن قناعة فإن أعمالنا وبرامجنا قد تخسر فيها كثيراً من المتدربين .
أسأل الله تعالى للجميع التوفيق والسداد في القول والعمل والتفكير. وصلى الله وسلم وبارك على أشرف المرسلين وقدوة المرين.

مصادر ومراجع

- (١) البقرة: (271)
- (٢) تفسير السعدي ص. 118
- (٣) رواه البخاري ح 1334 ، ومسلم. 1712
- (٤) التعازي والمراثي ص 128 ، تهذيب الكمال ص. 1924
- (٥) رواه مسلم.
- (٦) رواه الإمام أحمد والترمذي .
- (٧) كتاب الأموال : ص. 488
- (٨) كتاب الأموال : ص. 488
- (٩) كتاب الأموال : ص. 489
- (١٠) مشكلة الفقر ص 55 وانظر المدارج . 233
- (١١) روى البخاري ومسلم .
- (١٢) إصلاح المال لأبن أبي الدنيا ص . 37
- (١٣) إصلاح المال لأبن أبي الدنيا ص. 57
- (١٤) إصلاح المال لأبن أبي الدنيا ص. 57
- (١٥) إصلاح المال لابن أبي الدنيا ص . 67
- (١٦) إصلاح المال لابن أبي الدنيا ص. 77
- (١٧) إصلاح المال لابن أبي الدنيا ص. 77
- (١٨) إصلاح المال لابن أبي الدنيا ص. 87
- (١٩) إصلاح المال لابن أبي الدنيا ص 75
- (٢٠) رواه الترمذي والحاكم .
- (٢١) إصلاح المال لابن أبي الدنيا ص 46
- (٢٢) إصلاح المال لابن أبي الدنيا ص. 45
- (٢٣) إصلاح المال لابن أبي الدنيا ص 103

-
- (٢٤) رواه البخاري في الأدب المفرد
(٢٥) إصلاح المال لابن أبي الدنيا ص . 101
(٢٦) الحلس هو ما يبسط في البيت من حصير ونحوه (النهاية في غريب الحديث).
(٢٧) القعب هو قدح ضخم غليظ .
(٢٨) رواه أهل السنن .
(٢٩) رواه البخاري .
(٣٠) المجموع . 6/136
(٣١) المجموع شرح المذهب 6/139 ، 140 .
(٣٢) حاشية الروض 1/400 ، مطالب أولى النهى . 2/147
(٣٣) الفتاوى الكبرى . 4/80-81